قـمّـة المـلامـح المـخـتـلـفـة

يراهن المتابعون لتاريخ القمم العربية على عدة عوامل و مستجدات ستفرض نفسها على أجواء مؤتمر القمة الذي سيعقد في بغداد ٢٩ آذار المقبل إذ تؤكد المصادر إصرار التوجه الرسمي العراقي على عقد القمة رغم العقبات الأمنية التي تسعى أطراف خارجية إلى إثارتها كي تعيد القمة إلى ملف التأجيل مرة أخرى.تعرضتْ المنطقة العربية إلى تغييرات جذرية ما زال العديد من توابعها بحاجة إلى إعادة قراءة هادئة بعيداً عن التأثيرات الانفعالية وصخب المشاعر، لفك رموز وأحداث عام (عربي) اختلفت طبيعة توالي الفصول عليه .. عام من الرياح الساخنة المتلاحقة .

لينا مظلوم *

قمّة بغداد فرصة لاستعادة دور العراق عربياً

البلد المُضيف- العراق- شهد العام الماضي - تأثراً بالأحداث المحيطة حوله عربياً- حالة من النشاط الشعبي عبّرت بأسلوب مباشر قويّ عن سخطها و رفضها تجاه من منحوهم أصواتهم الانتخابية مقابل تحقيق أبسط المطالب الحياتية و الإنسانية للمواطن العراقي.. في المقابل تكشف الوجه القبيح لمن يديرون العملية السياسية في العراق عن توجّه أبعد ما يكون عن مصالح العراق..واضعا كل ولائه عند أعتاب نظام ديني إيراني لم يخجل من ممارسة أفظع وسائل القمع و الدموية ضد معارضيه داخل إيران.. النتيجة المعروفة هي إقحام العراق في دوامة بشعة من الصراعات الطائفية و التردي و الفوضى التي عمّت كل مظاهر المجتمع و الثقافة التي طالما بزغ نورها من بغداد ليضيء العالم العربي.. على الجانب السياسي ، ظهرت منذ عام ٢٠٠٣ حالة حسّاسية مفرطة و مشاعر قلق متبادلة بين طرفين، احدهما الشارع العراقي والآخر الشارع العربي..مفادها مخاوف و شكوك حول (عروبة العراق)..في المقابل ردُ الشارع العراقي على هذه المخاوف بمشاعر المرارة و العتاب تجاه سلبية و صمت (الأشقاء) و نالت جامعة الدول العربية نصيبا كبيرا من غضب الشارع العراقي – كما يحدث حالياً مع الشارع السوري- بينما حقائق و طبيعة الواقع العربي آنذاك تؤكد أن حالة الترهل و الوهن السياسي العربي لم يكن بمقدورها إعادة ضخ الدماء إلى شرايين الجامعة العربية لتمنح قراراتها تأثيرا و قوة أمام المخططات الدولية..غاب عن الغاضبين أن الجامعة تستمد قوتها من الدول المؤسّسة و ليس العكس..إذ أن فاقد الشيء لن يعطيه.. و يبقى الأمل أن يساهم هذا التكتل العربي ،داخل إطار ملامح صورة جديدة فُرضت على أغلب الأنظمة العربية المترهلَة، في امتصاص المرارة من الشارع العراقي ..إذ رغم ما يؤكده الواقع أن اهتمامات الشارع العراقي تتركز حول الوضع الداخلي.. إلا أن هذا لا ينفي أهمية عامل الاحتياج المتبادل بين العراق و الدول العربية بحكم الحقائق التاريخية والجغرافية والاقتصادية التي تضع العراق في صدارة قائمة الدول العربية المطلوب استعادة دوره المؤثر سياسياً.. بالإضافة إلى أن التغييرات العربية – بكل ما لها وما عليها- قد تضخ (أوكسجين) الحراك السياسي في تيارات مختلفة- ليبرالية أو غيرها- يحتاج العراق إلى تفعيل دورها.

> ستحمل قمة بغداد خطاباً مختلفاً ومفردات وقرارات مستحدثة من الواقع العربيّ الجديد، إضافة إلى وجوه لم يألفها المتابع العربي مسبقاً

مد الثورات لم يكن مستبعدا عن سوريا في ظل نظام استبدادي جثم على صدور السوريين عقودا طويلة..إذ لم تصدُق التوقعات التي واكبت وراثة بشار الأسد الحكم عن تغييرات حقيقية تُضفي ملامح النضارة و الحرية على صورة حزب بعثي لم يبق سوى بالقبضة الحديدية.. هذه الثورة لم تسلم- كغيرها- من محاولات دولية للاستيلاء عليها وتوظيفها لمصالحها الخاصة.. لكن يبدو أن وسائل الاستيلاء هذه المرّة تتم عن طريق قرارات المنظمات الدولية بدلا من التدخل عن طريق القوة العسكرية، دول أوروبا، التي اتّعظت من فشل التدخل الأميركي في العراق؛ و التكاليف و التضحيات الباهظة لتدخل دول حلف الأطلسي في ليبيا، لا تبدو متحمسة لتكرار التجارب المريرة.

رغم الاستقرار السياسي النسبي في تونس.. تبقى المخاوف محدودة من سيطرة التيارات الإسلامية ..إذ تسير الحالة التونسية في اتجاه تيار ديني أكثر انفتاحا على الغرب.. واضعاً أمامه النموذج التركي.. بينما تُخلَف الضبابية أجواء تطورات الثورة الليبية لتضعها حتى الآن في مناخ غير مستقر من الصراعات و الاقتتال القبلي و محاولات سيطرة من تيارات سلفية متشددة.. تضع علامات استفهام أمام الملامح النهائية لصورة الثورة الليبية.

الثورة المصرية تعيش – بعد نشوة الانتصار – واقعاً متراكماً ومستحدثاً من الصراعات و الأزمات المعقدة التي يتجاوز حجمها مجرد خطوات العملية السياسية التي تتم حاليا..إذ بعيدا عن المخاوف، و هي عديدة منها ما يتعلق بالجانب الاقتصادي و الأمني و منها ما يمس حريات الفكر و التعبير في ظل هيمنة التيارات الدينية على مجريات العملية السياسية ..و تبدو كل الأطراف الرئيسية : مجلس القوات المسلحة ،قوى شباب الثورة و التيارات الدينية في حالة صدام متبادل وتوترات مفادها تعنت كل طرف..المجلس الذي تحمّل بعد الثورة إدارة البلاد اصطدم مع شباب الثورة الذي تعامل معه كحاكم لمصر..بينما أخطأ شباب الثورة بدوره حين ترك ممارسة العمل السياسي للتيارات الدينية و اختار البقاء في الشارع و التجمعات الأسبوعية بدلا من بناء قاعدة شعبية موحدة لها تأثير سياسي قوي، وهو اختيار لا تتطلبه العملية الانتقالية لتأسيس حالة جديدة عوضا عن تلك التي أطاحتها الثورة.أخيراً في إطار هذه المتغيرات التي طرأت على الخارطة العربية ستحضر القمة إلى بغداد و هي حتماً ستحمل خطابا مختلفاً ومفردات وقرارات مستحدثة من الواقع الجديد، بالإضافة إلى وجوه لم يألفها المتابع العربي مسبقاً.

صحفية عراقية مقيمة في القاهرة *

قرطاس

أحمد عبد الحسين ▪

نقـص تـربيـة

يحتاج العراق إلى عشرين سنة بالتمام و الكمال لبناء مدارس تستوعب عدد طلابه، أي أننا نحتاج إلى خمس حكومات قادمة من أجل بناء ستة آلاف مدرسة، وهو العدد الذي يتناسب مع عدد طلبة العراق الآن، فإذا ما عرفنا أن هذا العدد سيكبر بالتأكيد خلال عقدين كاملين، وإذا ما أدركنا أن الحكومات التي مرت على العراق "بل الطبقة السياسية بعامة منذ ٢٠٠٣" تنظر بازدراء إلى التعليم، وأن هذه الطبقة لديها أولويات كبرى كالانشغال بتسقيط الخصوم قانونياً إذا أمكن وإلا فبالسلاح، وهي أولويات لا تدخل التربية ولا التعليم فيها؛ إذا ما أدركنا ذلك كله عرفنا أن نهاية البلد عويصة، والآفاق مغلقة أمام العراق، لأن مستقبلنا الحقيقيّ المتمثل في شريحة الشباب الذين هم طلبةُ الآن، وضعناه في يد أناسٍ أميين يجهلون حجم الهاوية التي دفعوا إليها العراق.

الشباب الذين هم في المدارس "أو الذين يجب أن يكونوا في المدارس" ممن تتراوح أعمارهم بين ٦ ـ ١٨ سنة، يشكلون نسبة ٢٥ بالمئة من مجمل الشعب، ومع ذلك فإن ربع الشعب هذا لا يتلقون تعليماً جيداً، ويرتادون مدارس بدائية انقرضتْ مثيلاتها حتى في مجاهل إفريقيا، بعض المدارس مبنية بالطين، وتتوارد بين الحين والآخر أنباء سقوط أسقف المدارس على رؤوس أبنائنا، كما حدث لإحدى مدارس الحلة قبل مدة ليست بالطويلة.

في بلد نفطيّ ذي ميزانية انفجارية، يدرس أبناؤه في صفوف يحشرون فيها حشراً، غرفة الدرس المخصصة لاستيعاب ثلاثين طفلاً يتكوّم فيها سبعون أو أكثر، يرتجفون من البرد شتاء وينضحون عرقاً صيفاً، في دولة مغضوب عليها كهذه، يخصص للتعليم واحد بالمئة من "الميزانية الانفجارية"، أي مليار واحد فقط، ومن هذا المليار اليتيم خصص أقل من النصف لمشاريع البناء والترميم وتطوير المدارس، ٤٥٥ مليار دينار فقط لمشروع إنقاذ أطفالنا من الجهل والأمية التي يحياها كثير من الساسة العراقيين الذين يحتقرون التعليم، ويريدون أن يكون مستقبل أبنائنا على شاكلتهم من الجهل والطائفية والعيش.كحال ساستنا اليوم.فاغري الأفواه أمام المال السحت .

عشرون سنة قادمة من الخطط الحكومية العبقرية المتمثلة باحتقار الثقافة والتعليم، كافية لخلق أجيال تشبه تماماً هذه الملامح الطائفية التي نراها صباح مساء، كافية لاستنساخ كائنات شبيهة بكم أيها الجهلة.

شخصياً لا أتوقع من مزوّري الشهادات أكثر من ذلك، كما لا أتوقع ممن يعفو عنهم شيئاً مغايراً، بل أتوقع أننا بعد عشرين سنة إذا أمدّ الله في أعمارنا نحن "لأن أعمار الساسة مباركة دائماً فما كان لله ينمو!" فستجدوننا نكتب هنا في المدى عن حاجة العراق لخمسين سنة من أجل استيعاب طلابه، وستجدنا بعد عقدين نطالب السيّد "المالكي" بتوفير مدارس مبنية بالطابوق بدلا من الطينية، ولكنه سيعتذر لنا لأن الوضع الأمنيّ والخصومات السياسية لا تترك له مجالاً ليحكّ رأسه، وسنتفهم الأمر بعد عشرين سنة كما نتفهمه الآن .. تماماً.

كاريكاتير

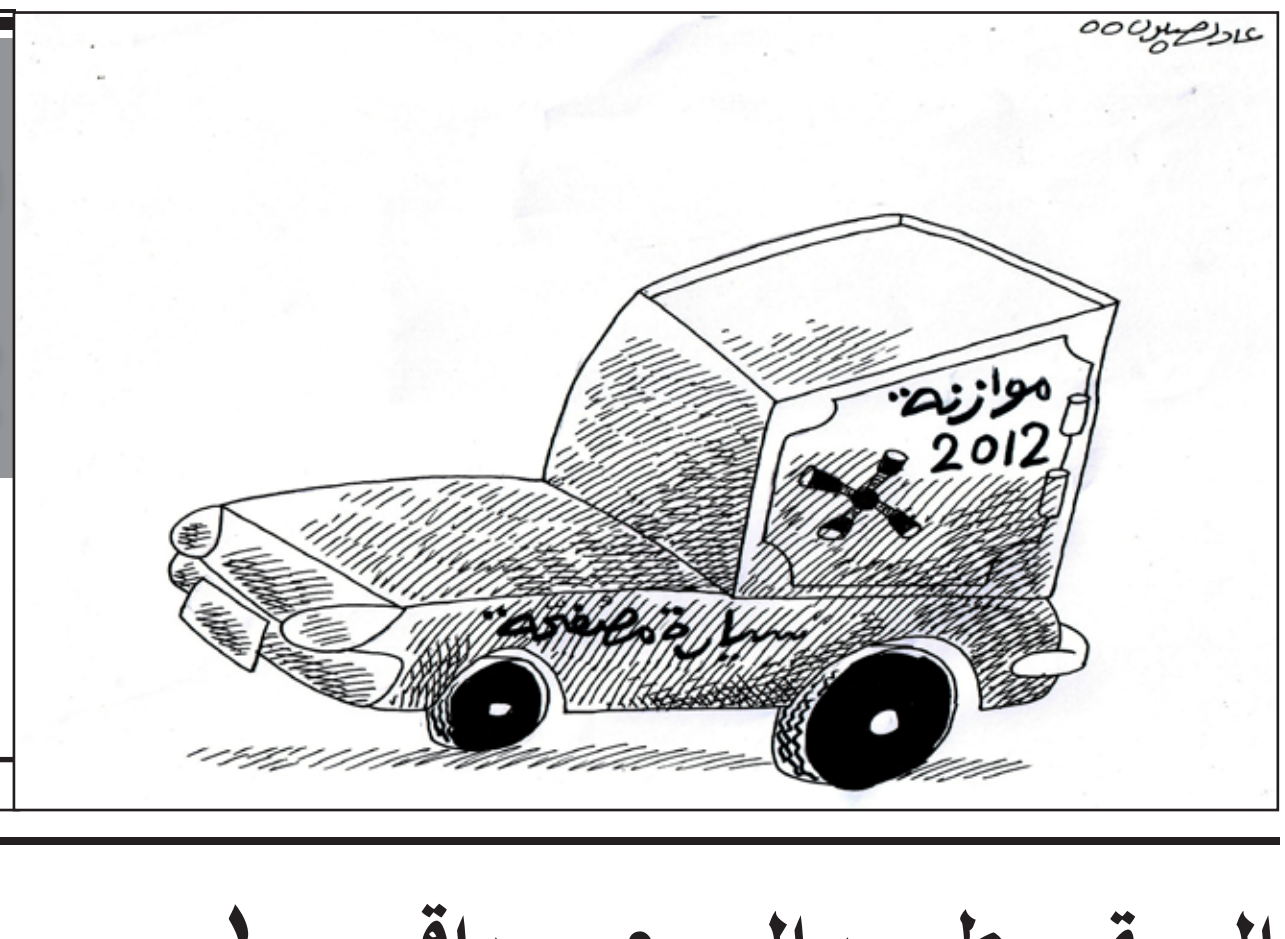

عادل صبري ▪

فساد وازدواج شخصية!

سليمة قاسم

> حدثتني قريبتي عن الدعوى التي تنوي رفعها ضد طليقها بتهمة التزوير والاختلاس فقد أصبح مديرا عاما لإحدى الدوائر الحكومية وهو بالكاد يفك الخط بعد أن دبر له احد معارفه شهادة مصدقة من كلية الإدارة والاقتصاد مقابل عدة ملايين دفعها عن طيب خاطر كونها تحمل أختاما وتوقيعا صادرا من نفس الكلية ليصبح بعدها مديرا عاما في تلك الدائرة التي اختلس منها مبالغ طائلة قبل أن يغريه طموحه المريض لأن يصبح ضابطا كبيرا في إحدى الوزارات الأمنية وهو أمر لم يجتهد كثيرا لتحقيقه فهو يملك المال الذي يصنع المستحيل.

وحين رأيتها بعد مدة من الزمن فاجأتني بأنها لا تفكر بإثارة ذلك الموضوع مرة أخرى، وأنها نسيته بالكامل وحين سألتها عن السبب أجابت بأن طليقها قد ردها إليه مرة أخرى فكيف تفعل بوالد أطفالها تلك الفعلة.

أما أحد الزملاء فقد أقام الدنيا ولم يقعدها على رئيسه في العمل وعن فساده الذي أصبحت رائحته تزكم الأنوف وعن الرشاوى التي يحصل عليها عند إنجاز معاملة ما وانه ينوي أن يشي به للجهات المختصة بعد أن يجمع الأدلة الكافية ضده ليقوم بدوره في خدمة البلد، وقد احترمته كثيرا لموقفه ذاك، لكنني وعن طريق الصدفة عرفت أن ذلك الزميل كان صديقا مقربا لمديره وأنهما كانا يلعبان دورا واحدا في قبول الرشاوى عند إنجاز المعاملات لكن الخلافات المادية عصفت بتلك الصداقة فأراد صاحبنا أن ينتقم من مديره بالوشاية عنه لدى الجهات المختصة أما خدمته البلد ودفاعه عنه فكانت شعارات ليس إلا.

وفي إحدى الدوائر الحكومية جلست انتظر ساعات عدة لإكمال معاملة بسيطة، وحين رأتني إحدى الموظفات أهم بالمغادرة أشارت بحركة من رأسها أن أقترب منها، لتخبرني أنها تستطيع إنجاز معاملتي بدقائق معدودة فيما لو دفعت لها مبلغا معينا من المال، ترددت للوهلة الأولى لكن ذلك الانتظار الممل والزحام الخانق وحاجتي إلى إنجاز المعاملة بأسرع وقت دفعتني إلى الموافقة.

خرجت من الدائرة وأنا أشعر بهمّ كبير فكيف أرفض الفساد وأساهم فيه ولو بتلك الطريقة البسيطة. فهي على كل حال نوع من أنواع الفساد الذي استشرى في البلد بشكل كبير ويقف حائلا دون بنائه وإعماره بعد أكثر من ثماني سنوات، وكان عذري في ما فعلت أننا نجد أنفسنا أحيانا مجبرين على ممارسة أفعال لا نرتضيها. الحالات الثلاث التي تحدثت عنها آنفا تعطينا فكرة واضحة عن الإشكالية التي أصبحنا نعانيها في موقفنا من موضوعة الفساد ، ورفضه وتقبله حسب موقفنا من الشخص الذي يمارسه، وهذا يعني ازدواجية شخصية الفرد العراقي في التعامل مع الفساد بكل أشكاله وأساليبه. فإذا كان المفسد صديقا غضضنا الطرف عما يفعله وإن كان عدوا سخرنا كل إمكاناتنا لفضحه والنيل منه، حتى المفسد نفسه حين يقبض عليه بالجرم المشهود يدعي بأنه وقع ضحية لمؤامرة دبرها له أعداؤه، أما إذا وجهت أصابع الاتهام لمسؤول معين بقضايا فساد، تنبري كتلته للدفاع عنه بكل قوتها وتهدد بالانسحاب من السلطتين التنفيذية والتشريعية وفضح فساد كتل أخرى وسرعان ما تعقد صفقة سياسية تسحب على إثرها تلك الاتهامات.

استشراء ظاهرة الفساد بتلك النسب المخيفة لا سيما بعد سنوات التغيير يدعونا إلى مراجعة جدية لموقفنا المتذبذب منه فأسباب تفشيه وتأصل جذوره في المجتمع العراقي معروفة بفعل الحروب المتتالية والحصار والروتين القاتل الذي تتعامل به دوائرنا الحكومية، إضافة إلى الفقر الذي يدفع بالموظف إلى الحصول على المال بأية طريقة وقلة الوعي لدى عامة الناس بمضاره على المدى البعيد، لكننا مازلنا نتلمس طريقنا في محاربته بالطريقة الصحيحة تمهيدا لتحجيمه ولا نقول القضاء عليه ،فالفساد موجود في كل مكان على سطح المعمورة لكن نسبه تختلف من مكان إلى آخر والعراق يحتل اليوم المرتبة الثالثة من بين أكثر الدول التي ينتشر فيها الفساد وهذا يتطلب معالجة جذرية تتمثل في تعديل المناهج الدراسية أولاً وتضمينها مواد تتحدث عن الفساد وأساليبه وطرق محاربته لينشأ الجيل الجديد جيلا معافى من تلك الآفة الخطيرة، وتفعيل القوانين التي تحارب الفساد وتضرب بقوة على يد المفسدين.

القـطـر العـراقـي!

عبد الجبار خضير عباس

القطر، مفهوم من اختراعات التيار العروبي، بدأ استخدامه بكثافة، بعد أن تسنم البعث السلطة في العراق، وكذلك الحال في سوريا ،أما مصر مركز الأمة العربية وقلبها النابض على وفق رؤى القوميين العرب، وعلى الرغم من أنها تعد موطن أول اتحاد بين دولتين عربيتين، جرى في العام ١٩٥٨ سمي بـ (الجمهورية العربية المتحدة)، فإن مفهوم القطر والقطر المصري غير متداول بشكل محسوس في المشهد السياسي، والإعلامي، والثقافي في مصر، لكنه صدر إلينا كأيقونة، وعلينا استخدامه بقدسية.

بعد هذه المقدمة من الضروري معرفة "القطر" بمعناه اللغوي، إذ ورد في معجم لسان العرب القطر : العود الذي يتبخر به وبالصحاح في اللغة ، القطرُ بالضم : الناحية والجانب، والجمع الأقطارُ. وفي مقاييس اللغة، فالقُطر: الناحية . والأقطار: الجوانب، ويقال: طعَنَه فقطره، أي ألقاه على أحد قطريه، وهما جانباه.

وهناك من يفسره بالجزء المحدد، أما في الرياضيات.. فالقطر، هو الخط الذي يصل بين نقطتين من فوق سطح الدائرة ويمر بمركزها، أي بحسبة بسيطة، القطر يشكل حجما ضئيلا بالقياس للدائرة، لذا فهو جزء تابع للدائرة، ولا يشكل حضورا، وليس له وجود من دون دائرة تمنحه الظهور والبروز..

وبعد نحت هذا المفهوم الذي كرس تحديدا على نطاق واسع في العراق منذ انقلاب شباط العام ١٩٦٣ وحتى العام ٢٠٠٣، إذ نجد انه تحول إلى علامة سيميائية دلالتها تحيل إلى أن العراق ليس مركزا حضاريا أو دولة لها ما يميزها في التاريخ البشري بل اختزل إلى "قطر" وزنه النوعي لا يختلف عن جيبوتي أو جزر القمر، –نحن هنا نتحدث بالمقياس الحضاري والسياسي وليس بالمفاضلة العرقية–..وعلى مدار عقود، تغلغل هذا المفهوم في وجدان العراقيين عبر ترديده المستمر في وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة، فضلا عن تضمينه المناهج التعليمية..ليندرج هذا الأمر ضمن أسباب عديدة أخرى، أسهمت بفصل الذات العراقية عن عمقها التاريخي والحضاري، أي أن المفهوم كالثقب الأسود، ابتلع كامل الإرث السومري والأكدي والبابلي والآشوري ..إذ ما أن ينطق المفهوم حتى تأتي الإحالة إلى مصر المركز إبان ازدهار الموجة الناصرية من قبل المتأثرين بها، وبعد انحسارها، أخذ إيقاع المفردة، يتلاشى بزحمة الأقطار.

وعلى الرغم من مرور تسعة أعوام على التغيير، مازال بعض العراقيين من أساتذة جامعات ومثقفين وفنانين وغيرهم .. يستخدم هذا المفهوم بتلقائية، عبر وسائل الإعلام بشكل يومي، على الرغم من انه مفهوم شوفيني ولا يعبر عن روح الانتماء للعراق، ويلغي دور المكونات العراقية فضلا عن زحزحة العراق من مركز الإشعاع الحضاري الأول في العالم، إذ يتحول إلى هامش لمتن افتراضي تضليلي..في حين إننا بحاجة إلى مصالحة مع الذات التي انفصلنا عنها أكثر من ١٤٠٠ عام.

السؤال لماذا الإصرار على استخدام هذا المفهوم بدلا من العراق أو الوطن أو البلاد.. في حين يكتفي المصري بقوله: مصر، ليعبر بزهو وانتماء لوطنه ؟ ولماذا السعودي يقول: السعودية فوق الجميع، والأردني، الأردن أولاً... من دون التشكيك بانتمائه العربي؟

ربما هناك من يرى الخوض بهذه الأمور، يأتي من باب الترف الفكري أو يعد ذلك أمرا ليس بمحله في الوقت الحاضر، والأجواء السياسية ملبدة بالأزمات المتفاقمة التي من شأنها الانزلاق بالبلاد نحو الهاوية، نتيجة لسلوك أحزاب وشخصيات لا ترى إلا مصالحها.. نقول: إن ما يفتقده بعض السياسيين هو روح الانتماء لهذا الوطن، فلو كان السياسي، والمثقف الذي يستخدم مفهوم " القطر" مطلعاً بشكل كاف على تأريخ وطنه لأحب بلاده، وأدرك أصالة مكوناتها، وارتباطها بتراب العراق .. حينها سينظر للآخرين كأرقام صعبة تشكل خريطة الوطن " العراق" وليسوا هم أعداء محتملين أو مشكوكا بأصالتهم.. أرجو أن لا يفهم من ذلك محاولة الابتعاد عن الحاضنة العربية، إذ أننا مؤمنون بأن الحرف العربي واللغة العربية، كانا قد خرجا من أرض العراق.